الاستعارة التصوّريّة في الخطاب النبويّ
صحيح مسلم أنموذجا

ليدية بوزطين[*]

جامعة مولود معمري بتيزي وزو، lediabozetine@gmail.com

إشراف: **عمر بن دحمان**

الاستلام: 2020/03/10. القبول: 2019/09/30. النشر: 2020/10/20

الملخص: تدرك اللّغة الاستعاريّة في كتاب " **صحيح مسلم** " على أنّها وسيط يربط العقيدة الاسلاميّة بالمجتمع عن طريق الخطاب النبويّ. كما تظهر عدّة مخطّطات استعاريّة أنّ لخطاب الرسول محمد صلى الله عليه وسلم تضميناتإيديولوجية يهدف من خلالها إمّا لتوثيق الأفكار الحاليّة أو إلى تأسيس أفكار جديدة في إطار العقيدة الاسلامية التّي تشمل أفكار ومعتقدات تميّز الإسلام عن بقية الديانات السماويّة.

ونتوصّل إلى أنّ فهم الخطاب النبويّ في " **صحيح مسلم** " مرهون بفهم الاستعارات الواردة فيه فهما صحيحا. لذلك حملت الاستعارة بين طياتها مختلف التصوّرات والممارسات المجسّدة للثقافة العربية الاسلامية. لتكون بذلك حاضرة في كلّ رموز وتجليّات الثقافة.

كلمات مفتاحيّة: الاستعارة؛ المعرفة؛ اللّغة.

المؤلف المرسل: [*] ليدية بوزطين، lediabozetine@gmail.com

Metaphors in hadith discourse

Sahih Muslim as a model

Abstract: Metaphor language is perceived in the book of Sahih Muslim as an intermediate that links the islamic doctrine with society througth prophetic Hadith (speech). In addition, multiple colonial schemes show the prophetic Hadith had ideological inclusions with include neur beliefs that distingnishislem from the other religions. The frequent Conceptual metaphors in Sahih Muslim prove that Allah did not reveal himself nor his nature, however. He did reveal his laws and admitted that Shariaalaur is a perpetual phenomenon of his will that comes from Coran and prophetic hadith.

Keywords: Metaphor;language;cognictive;.

مقدمة:

اهتم الدّارسون بمختلف التخصّصات بالمعرفة وطبيعتها والنشاط الذّهنيّ المستخدم في عمليات الإدراك، التّذكر، الاستيعاب وغيرها من العمليّات. حيث شاركت هذه التخصّصات كعلم النفس العصبيّ، والطبّ والبيولوجيا وعلوم اللّغة والإتصال والحاسوب وحاولت أن تجيب عن الأسئلة المتعلقة ببنية المعرفة ومكوّناتها وعمليّاتها وتطبيقاتها. فالعلم المعرفيّ هو العلم الّذي يهتم بدراسة بنية العمليّات العقليّة الذكيّة وأنشطة التّفكير.

ويعتبر موضوع اللّغة والإدراك والتّفكير والتخيّل من العمليّات الّتي اهتم بدراستها علم النفس المعرفيّ. ومن دون شكّ أنّ هذه المواضيع مرتبطة بالاستعارة. فهي همزة وصل بين هذه العمليّات. ما جعلها تتبوأ مكانة مرموقة في ظلّ البلاغة المعاصرة خاصة والعلوم المعرفيّة عامّة. فكيف ساهمت فعاليّة وحركيّة الاستعارة في التعبير عن مختلف الأفكار الواردة في صحيح

مسلم؟ وكيف ارتبطت الثقافة بالتصوّرات والآراء في توليد السيرورة الاستعاريّة في صحيح مسلم؟

فرضا أنّ صحيح مسلم ينفرد بمفاهيم استعاريّة تميّزه عن مختلف الخطابات.

للإجابة عن هذه الإشكالية سعينا في هذا المقال إلى إبراز دور الاستعارة في عمليّة التواصل كونها تقدّم صورة عن فسيفساء التعاملات اليوميّة للعبد المسلم. لأنّ الإشتغال على الاستعارة في "صحيح مسلم" يستلزم الإشتغال على الأنظمة الرّمزيّة للثقافة العربيّة الإسلاميّة.

وتعتبر المدوّنة المصدر الأساسيّ الّذي يفرض علينا منهج تحليلها. لكون النص متعدّد ومنفتح ولا يمكن قراءته قراءة أحاديّة. فهو يحتمل عدّة قراءات. هذا ما دفع "ميشال فوكو" إلى رفض فكرة التقيّد بالمناهج الجاهزة.واستعمال آليّات مكرّرة في تحليل الخطاب. فاستنادا إلى هذا الأساس توصّلنا إلى أنّ مدونتنا المتمثّلة في صحيح مسلم تتطلّب منّا الاعتماد على فاعليّة التأويل في التحليل. فهو كما يبدو لنا المناسب لمقاربة الموضوع في ضوء الإشكاليّة الّتي سبق وأن أثرناها.

2.الاستعارةبعد ظهور الدراسات المعرفيّة:

1.2 الذهن المتجسّد: انطلق الباحثان جورج لايكوفGeorge Lakoff ومارك جونسون JohnsonMark في التأسيس لمشروعهما في الاستعارة التصوّريّة على لبنتين أساسيّتين هما الانتشار المذهل للاستعارة في حياتنا اليوميّة ودور الجسد في تأسيس التجربة الاستعاريّة. ويؤكدان على أنّ الاستعارة التصوّريّة ليست مسألة مرتبطة باللّغة فحسب. وإنّما مرتبطة أكثر بالتصوّرات والفكر. كما أنّها لا تعنى بالبعد الجماليّ.بل تعدته إلى بعد معرفيّ أوسع بكثير ممّا كانت عليه وتبيّن بأنّنا نحيا من الاستعارة وإلى الاستعارة.

ولم يتوقف الباحثان عند هذا الحدّ فحسب. بل تعدّاه إلى أنّالاستعارة التصوّريّة موهبة فكريّة. ولولاها لما تمكنّا من فهم تجاربنا.فهي «ما يجعل أغلب الفكر المجرّد ممكنا... إنّها الوسيلة الفعليّة الّتي نتمكن بواسطتها من إضفاء المعنى على تجربتنا. فالاستعارةالتصوّريّة هي إحدى

أعظم مواهبنا الفكريّة.»[1] إذنالاستعارة هي الّتي تمنح التجربة البشريّة معناها وتساهم في فهم الأشياء المجرّدة من خلال التجربة الحسيّة الحركيّة للجسد.

كما تلعب التجربة الجسديّة دورا مهما في نظرية الاستعارة التصوّريّة من أجل تحقيق الفهم. فبواسطة التجربة الحسيّة الحركيّة للجسد نتمكن من فهم المجرّد. ويثبت عبد اللّهالحراصي هذه الفكرة بقوله بأنّ«العقل لا ينفصل عن تجربة الجسد بل إنّ التجربة العقليّة في كثير من جوانبها تقع تحت سيطرة الجسد المجازية، حيث ينقل العقل من خلال الاستعارة بنى التجارب الماديّة، كالحركة، والرؤية البصريّة والاحتواء ومنطقها وتفاعلاتها ليشكّل منها المفاهيم المجرّدة كالمفاهيم السياسيّة والفلسفية وغيرها.»[2] فالعقل في الجسد.

تختلف الاستعارة قبل ظهور الدراسات المعرفيّة عن الاستعارة بعد ظهورها اختلافا جذريا. حيث أصبحت ظاهرة تصوّريّة تتجلى في الكلام العادي عن طريق اللّغة.وتعتبر كعنصر مركزيّ في فهم الخطاب وتحليله بعد أن كانت ظاهرة لغويّة ينظر إليها كعنصر هامشيّ. كما تأسسّت على فكرة التّفاعل الموجود بين الفرد ومحيطه. وكنتيجة لهذا التّفاعل حملت الاستعارة كلّ ممارسات هذا الفرد الثقافيّة والاجتماعيةوالإيديولوجيّة. فجزء من تجاربه وسلوكاتهوانفعالاته من طبيعة استعاريّة. لهذا تعتبر وسيطا بين الذّهن والمحيط الخارجيّ. وهذا إن دلّ على شيء إنّما يدلّ على أنّ الاستعارة حاضرة في كلّ رّموز وتجليات الثقافة.

ولا يقتصر دور الاستعارة على وظيفتها اللّغويّة التجميليّة والزخرفيّة للكلام. كما كان شائعا عند أصحاب النزعة الموضوعيّة. بل لها دورا فعّالا في عمليّة التواصل كما في بناء الواقعة الإجتماعيّة والثقافيّة والفكريّة. وهذا ما أثبته العلماء التجريبيّون في درسهم المعرفيّ المعاصر. ويقول الباحثان "جورج لايكوف" و"مارك جونسون" في هذا السياق:«تمثّل الاستعارة بالنسبة لعدد كبير من النّاس أمرا مرتبطا بالخيال الشعريّ والزّخرف البلاغيّ. إنّها تتعلّق في نظرهم بالاستعمالات اللّغويّة غير العادية وليس بالاستعمالات العادية. وعلاوة على

ذلك، يعتقد النّاس أنّ الاستعارة خاصيّة لغويّة تنصبّ على الألفاظ وليس على التّفكير أو الأنشطة. ولهذا يظنّ أغلب النّاس أنّه بالإمكان الإستغناء عن الاستعارة دون جهد كبير، وعلى

العكس من ذلك فقد انتبهنا إلى أنّ الاستعارة حاضرة في كلّ مجالات حياتنا اليوميّة. إنّها ليست مقتصرة على اللّغة بل توجد في تفكيرنا وفي الأعمال الّتي نقوم بها أيضا. إنّ النّسق التصوّريّ العادي الّذي يسيّر تفكيرنا له طبيعة استعاريّة بالأساس.»[3]لا تقتصر الاستعارة التصوّريّة على الجانب اللّغويّ فحسب. بل لها تحقّقات غير لفويّة والّتي تشمل الدّين والسياسة والإقتصاد والرياضة والطب والتعليم والصحافة والرسم والنحت والأسطورة. فقد مسّت كلّ مناحي الحياة في أبسط نشاطاتنا إلى درجة أنّنا لا نعي بوجودها. فهيّ متجذّرة في الثقافة الّتي نعيش في كنفها.

وسجلت الاستعارة التصوّريّة وجود بون شاسع من حيث الاستعمال لدى الأدباء والشعراء مقارنة بما مضى لتنتقل إلى كلّ من الرياضيّ والسياسيّ والفقيه. ولم تعد مقتصرة على فئة عمريّة محدّدة دون الأخرى. بل مسّت الطفل والكهل والشيخ. كما أنّها مسّت كلا الجنسين من الذكر والأنثى. ويقول " محمّد الصالح البوعمراني" في هذا السياق«الاستعارة ليست حكرا على الأدباء والشعراء والفنّانين، بل هي آليّة عرفانيّة تحكم تفكير البدائيّ كما المعاصر، البدويّ كما الحضريّ، والطفل كما الشيخ، إنّها مرتبطة بهويتنا نحن البشر، فهي التفكير عينه في جزء كبير منه، لذلك فهي مندّسة في كلّ تفاصيل حياتنا في كلامنا العفويّ كما في أكثر نظريتنا تجريدا، في كلام العامّة كما في كلام الأدباء والساسة ورجال الدين...»[4]

كما تعطي الطبيعة المعرفيّة باللّغة الاستعاريّة أدلّة أكثر على وجودها المطلق في كلّ أنواع الإتصال. فعلى سبيل المثال توظّف الاستعارة في اللّغة العاطفيّة والنصوص القانونية. كما تحضر في شتى أشكال الخطابات بدرجات متفاوتة قياسا على طبيعة الخطاب كالخطاب السياسيّ والخطاب الصوفيّ والخطاب التعليمي والخطاب السّجالي وغيرها من الخطابات.إلى جانب استعمالاتنا اليوميّة لها.ولهذا قسّمت الاستعارة في هذا الصنف من الاستعارات التصوّريّة إلى استعارات مألوفة ومتداولة الاستعمال إلى درجة أنّنا لا نعي بها، ومرسّخة في ذهن وتفكير الفرد والجماعة وتسمى بالاستعارات الوضعيّة أو المألوفة. وهناك استعارت لم نألفها في مجتمعنا ولا في تفكيرنا أو ثقافتنا ولا تستعمل من طرف كلّ النّاس وإنّما تنحصر لدى فئة محدّدة من النّاس هي الفئة المبدعة ويطلق على هذا النوع مصطلح الاستعارات اللاتواضعيّة أو

الإبداعيّة. ويذهب في هذا الصدد "الأزهر الزنّاد" الّذي يرى بأنّ «الاستعارة ظاهرة مركزيّة غالبة في دلالة الكلام العادي اليوميّ، وهي جزء من الفكر من حيث مثّلت أدّاة في تصوّر العالم والأشياء وتمثّلتها في جميع مظاهرها فهي جزء من النظام العرفنيّ.»[5] يغلب الطابع الاستعاريّ في حديثنا ونشاطنا اليوميّ. ولم يقتصر على الكلام الإبداعيّ الخاص بفئة معيّنة. ذلك لأنّ الاستعارة التصوّريّة تتمّ على مستوى الذهن البشريّ.

2.2 الاستعارة التصوّريّة والإنسجام الثقافيّ: لا نغفل على أنّ فهم الاستعارة مرهون بانسجام الممارسات اللّغويّة لتلك الثقافة. لذا يشترط الفهم السليم للاستعارة أن يكون المتحاورون من ثقافة واحدة ومعرفة واحدة. فالذاكرة الجماعيّة وثقافتها هي الكنف الّذي تنشأ فيه الاستعارة التصوّريّة لبلوغ المعنى المقصود. ويؤكّد "جورج لايكوف" و"مارك جونسون" على هذه الفكرة بقولهما: «فعندما لا يشترك النّاس الّذين يتحاورون نفس الثقافة ونفس المعرفة ونفس القيم ونفس المسلمات، فإنّ الفهم المتبادل يكون صعبا. إنّ هذا الفهم يكون ممكنا من خلال التفاوض بشأن المعنى ولكي تتفاوض مع أحدهم بشأن المعنى عليك أن تعي الإختلافات في الخلفيّات وتحترمها... وتحتاج إلى ما يكفي من التنوّع الثقافيّ والتجربة الشخصيّة كي تعي بوجود رؤى مختلفة للعالم.»[6] فأساس ومصدر المرتكزات الفيزيائيّة للتصوّرات هي طبيعة الثقافة السائدة في ذلك الوسط الإجتماعيّ. فلكلّ مجتمع ثقافته الخاصة وكلّ ثقافة مختلفة عن ثقافة مجتمع آخر. مايستلزم وجود تصوّرات مختلفة من مجتمع إلى آخر ومن ثقافة إلى أخرى . وعليه تنتج استعارات مختلفة بين الثقافات وبين المجتمعات.

يمكن فهم المعرفة الثقافيّة كنظام معقّد.لأنّ معرفة الفرد لا تعبّر بالضرورة عن معرفة مجتمعه الكلاميّ.فهو يتأثّر بثقافة الجماعة. والّتي تتحكّم بدورها في المعرفة الثقافيّة للأفراد. وتعتبر اللّغة بنك الذاكرة الإجتماعية للمعرفة الثقافيّة للمجتمع الكلاميّ فعدّة جهات للغة مجتمع كلاميّمعيّن يتم تحديدها عبر عناصر من المعرفة الثقافيّة. الّتي مرّت بعدّة مراحل تاريخيّة مختلفة للمجتمعات والّتي تركت أثارها في الممارسات اللّغوية لهذا «يمكن أن ننظر إلى اللّغة باعتبارها

ميكانزما أوّليا ابتدائيا لجمع وتخزين وتقاسم المعرفة الثقافيّة. فهي نفس الوقت بنك الذاكرة ومحرّك ديناميكي لنقل المعرفة العلمية»[7]فللغة دورا في التّفاعلات اللّسانية من أجل تطوير التصوّرات الثقافيّة لأنّها تمنح المتكلمين حرية بناء المعنى الّذي يريدونه من أجل وصف تجاربهم الفرديّة. كما أنّه توجد عدّة سمات لبنية اللّغة واستعمالاتها تعبّر عن التصوّرات الثقافيّة.

3.أنواع الاستعارات التصوّريّة: يركز "**زلطان كوفيتش**"kovecsezoltanعلى أنّ الطبيعة التصوّريّة للاستعارة تقترح تصنيف الاستعارات في أربعة مستويات. يميّز المستوى الأوّل الاستعارات تبعا لاستعمالاتها وشيوعها، ويطلق عليها مصطلح الاستعارات التواضعيّةوالاّتواضعيّة. ويميّز المستوى الثاني الاستعارات من حيث وظيفتها المعرفيّة، إلى البنيويّة والاتجاهيّة والأنطلوجيّة.أمّا المستوى الثالث فيميّز الاستعارات في إذا ما كانت مبنيّة على الصورة أو المعرفة، ويطلق عليها اسم استعارات الصورة. أمّا المستوى الأخير فيميّز الاستعارة من حيث مستواها العام أو الخاص وتصطلح باستعارات المستوى العام واستعارات المستوى الخاص[8].

عموما للاستعارة التصوّريّة دورا فعّالا في خلق معان جديدة ومتنوّعة بتنوّع الخطابات الواردة فيها.

1.3 تجليّات الاستعارات البنيويّة والأنطلوجيّةوالإتجاهية في صحيح مسلم: يعرّف كتاب صحيح مسلم لمؤلفه "**أبي الحسين مسلم**" على أنّه أضخم كتاب يحوي بين دفتيه أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلّم إلى جانب صحيح البخاري. قسّم صحيح مسلم إلى عدّة أربعة وخمسين كتابا وكلّ كتاب مقسّم بدوره إلى أبواب يختلف عددها بين كلّ كتاب حسب الموضوع.

يتضمن الكتاب مجموعة من القوانين الّتي تسيّر وتنظّم العلاقات بين أفراد المجتمع الإسلامي. كما أنّه يبيّن منهج وأسس العلاقة الّتي يجب أن تكون بين العبد وربّه. ويهدف الكتاب إلى

المحافظة على القيم الأخلاقيّة الإسلامية السائدة في المجتمع العربيّ الإسلاميّ. يزخر الخطاب النبويّ وعلى وجه الدّقة صحيح مسلم بعدد من الاستعارات التصوّريّة ومن أبرزها نجد:

أ-**الاستعارات البنيويّة:** يقصد بها إسقاط تصوّر ما استعاريا بواسطة تصوّر آخر، كقولنا "الجدال حرب". فالمجال المصدر المتمثّل في الحرب يوفر بنية معرفيّة للمجال الهدف المتمثّل في الجدال. تتمّ عمليّة الفهم في الاستعارة البنيويّة عن طريق الترابطات الاستعاريّة بين عناصر كل من مجال الحرب ومجال الجدال. وتتمثّل الوظيفة المعرفيّة لهذا النوع من الاستعارات في إمكانية فهم المجال الهدف عن طريق المجال المصدر. ولا يمكن فهم مجال تصوّريّ، ما إلاّ من خلال مجال تصوّريّ آخر، بحيث أنّه يتم انتقاء ما يتلازم من الخصائص الواجب إسقاطها من المجال المصدر على المجال الهدف. فقولنا مثلا "الحب رحلة" عبارة عن استعارة تصوّريّة تنتقل من المجال المصدر (الحسيّ الحركيّ) والمتمثّل هاهنا في الرحلة إلى المجال الهدف المتمثّل في الحب.[9] وللتوضيح أكثر نستعين بالمخطّط التالي:

مجال الحب ← مجال الرحلة

الحبيبان المسافران

علاقة الحب ← المركبة

أهداف الحبيبين محطات الوصول في الرحلة

صعوبات الحبيبين عقبات السفر.

ومن أبرز الاستعارات البنيويّة البارزة في صحيح مسلم نجد على سبيل التمثيل لا الحصر:

-الدنيا سجن المؤمن:

قال الرسول صلى الله عليه وسلّم: «الدُّنيَا سِجنُ المُؤْمِنِ وَجَنَّةُ الكَافِرِ.»[10] تتكوّن هذه الاستعارةالتصوّريّة من مجالين مختلفين هما المجال المصدر(الحسيّالحركيّ) المتمثّل في في السجن. والمجال الهدف (المجرّد) المتمثّل في الدنيا. وعن طريق عمليّة الإسقاط تنتقل صفات

المجال المصدر (السجن) على صفات المجال الهدف (الدنيا) مع مراعاة الصفات المناسبة لكلا المجالين. فمجال الدنيا بالنسبة للمؤمن عبارة عن سجن.

ويرى "**صابر الحباشة**" بأنّه يمكن أن تحلّل الاستعارة بوصفها نظاما من الإسقاطات الجزئيّة (تشاكلات) بين الميدان المصدر والميدان الهدف (مع الاحتفاظ العام بالدلالة) وبالتالي نفكّر في الميدان الهدف باستعمال المعارف والاستدلالات الخاصة بالميدان المصدر.[11] ولمزيد من التوضيح نمثّل بالمخطّط التالي:

مجال الدنيا ← مجال السجن

العبد المؤمن ← الفرد السجين

فترة حياته ← فترة بقائه في السجن

البيت الّذي يقطن فيه مؤسسة إعادة التربية

الابتعاد عن الشهوات والنزوات التجرّد من الحرية

إصابته بالبلاء وامتحان الله له ← يسلّط عليه العقاب من قبل المسؤولين.

نيل رضا الله والدخول إلى الجنّة ← إطلاق سراحه والإفراج عنه.

نلاحظ من خلال هذا المثال أنّ الاستعارة البنيويّة الدنيا سجن المؤمن، عبارة عن استعارة تصوّريّة انتقلت من مجال السجن إلى مجال الدنيا. مع اختيار الخصائص الملائمة إسقاطها من المجال المصدر إلى المجال الهدف.

ب- **الاستعارات الاتجاهيّة:** يختلف هذا النوع من الاستعارات عن النوع السابق، فهي مرتبطة بالأنساق التصوّريّة المترابطة. وسميت بالإتجاهيّة نسبة إلى الإتجاهات الفضائيّة: داخل، خارج / أعلى، أسفل / أمام، وراء/ فوق، تحت، ...إلخ. وتلعب تجربة الجسد دورا هامّا

في تحديد اتجاه هذه الاستعارات الّتي ترتكز على التجربة الفيزيائيّة والثقافيّة؛ أي أنّ معنى الاستعارات الإتجاهيّة يختلف باختلاف التجارب والثقافات. (مثلا قولنا السعادة فوق والشقاء تحت) «فاستعارات التفضيّة متجذّرة في تجربتنا الثقافيّة والفيزيائيّة وليست من محض الصدفة. إنّه لا يمكن لاستعارة ما أن تسعفنا في فهم تصوّر معيّن إلاّ بمقتضى أساسها في التجربة.»[12] ومن أبرز الاستعارات الاتجاهيّة البارزة في صحيح مسلم نجد على سبيل التمثيل لا الحصر:

- العمل الصالح في الأعلى:

يرمز الاتجاه " أعلى" بمفهوميه الماديّ والمعنويّ في الثّقافة العربيّة إلى القيمة العليا والدّرجة الرفيعة. ومن الناحية الدينيّة الإسلاميّة، يرغب العبد المؤمن أن ينال مرضاة الله تعالى وذلك بواسطة الامتثال لأوامره واجتناب نواهيه كي يفوز بالجنّة. أمّا العبد غير المؤمن الّذي لا تهمّه طاعة الله، ولا حجم المعصيّة الّتي وقع فيها، فمكانه في النّار. يقول الرّسول صلى الله عليه وسلّم: «**مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَإِلاَّ اللَّهَ دَخَلَ الجَنَّةَ.**»[13]

تعتبر الكلمات: مات، يعلم، دخل. بمثابة الكلمات المفاتيح للاستعارات التصوّريّة

الاتجاهية، يؤكد الرسول في هذا الحديث على أهميّة موت العبد وهو على يقين بوحدانية الله ولا إله إلّا هو فاطر السموات والأرض وهذه الخاتمة الحسنة تدخل صاحبها إلى الجنّة.

ويروى كذلك أنّ الرسول صلى الله عليه وسلّم سئل ذات مرّة عن الأعمال الّتي تقرّب من الجنّة وتبعد من النّار فأجاب: «تعبد الله لا تشرك به شيئا، وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة، وتصل ذا رحمك.»[14] تستحضر الكلمات المفتاحيّة: تعبد، تؤتي، تصل. الحالة الروحيّة للعبد المؤمن الراغب في الفوز بالجنّة. ويشترط الرسول صلى الله عليه وسلّم في حديثه هذا ثلاثة أفعال يجب على العبد المؤمن أن يقوم بها كي يفوز بالجنّة تتمثّل في عدم الشرك بالله وعبادته وحده لا شريك له والمحافظة على الصلوات المفروضة، والحرص على صلة الرّحم. فهذه الأفعال كلّها مؤهّلات تدخل صاحبها الجنّة، تستند هذه الأفعال إلى بنية تصوّر الإتجاه الفضائيّ "أعلى" الّذي يحمل دلالة الأخلاق، الخير، الطاعة، الجنّة.

-العمل الطالح في الأسفل:

وورد في حديث آخر للرسول عليه الصلاة والسلام أنّ إذاية الجار من السلوكات الّتي تهلك صاحبها لأنّ إذاية الجار من الأفعالالمنحطة في الثقافة العربيّة الإسلاميّة.جاءت تعاليم ديننا تحثّ على حسن المعاملة بالجار. ويقول في هذا السياق:«**لاَ يَدْخُلُ الجَنّةَ مَنْ لا يَأْمَنُ جَارَهُبِوَائِقه.**»[15]وتمثّل الكلمات المفتاحيّة الاستعاريّة: لا يدخل، لا يأمن. الأفعال الإنسانيّة الدنياويّة الّتي إذا وقع فيها دخل إلى النّار فهو ليس بالعمل الصالح .

– الإيمان في الأعلى:

يعتبر الإيمان بمثابة الهويّة الفعليّة للدين. ولا أساس ولا صحة له من دون الإيمان. ويقول الرسول صلى الله عليه وسلّم: «**الإِيمَانُ بِضْع وَسَبْعُونَ أَوْ بِضْعٌ وَستُّونَ شُعْبَة فَأَفضلُهَا لا إِلَه إِلّااللَّهَ وأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنْ الطَّرِيقِ وَالحَيَاءُ شُعبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ.**»[16] ترمز الكلمتان المفتاحيّتان الاستعاريتان: (أفضل، أدنى) على الأفعال الدنياوية المرتبة ترتيبا تدريجيا على حسب الأفضليّة والقيمة.مستندة إلى تصوّر الإتجاه الفضائيّ "أعلى" الّذي يحمل دلالة الخير، القمّة والجيّد. حيث يؤكّد الرسول صلى الله عليه وسلم أنّ أعلى درجات الإيمان المصنّفة في أعلى السلم هي الإقرار والشهادة بوحدانية الله تعالى. وأدنى فعل هو إماطة الأذى عن الطريق.إذن الإيمان في الدين الإسلاميّ الحنيف عبارة عن سلسلة من الأفعال الخيريّة. فالإيمان كلّه في الأعلى من أدنى شعبة فيه إلى أفضلها.

– السجود رفعة: تمثّل الأفعال الدنيويّة مصير العبد يوم الحساب حيث إنّ هذه الأفعال هي الزاد الّذي يحاسب به العبدمع ربّه في الحياة الآخرة.. لذلك نصّ الشرع الإسلاميّ، وفصّل الحديث النبويّ على جملة من الأعمال الّتي لها أجرا عظيما عند الله تعالى لمن طبّقها.كما أنّها تغفر ذنوبه.ومن بينها السجود.وهذا ما أشار إليه رسولنا الكريم في قوله: «عليك بكثرة السجود لله، فإنّك لا تسجد لله سجدة إلاّ رفعك بها الله درجة، وحطّ بك عنها

خطيئة.»[17]فالسجود يساوي رفع درجة وغفر خطيئة. ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم في حديث آخر: «من تطهّر في بيته ثمّ مشى إلى بيت من بيوت الله، ليقضي فريضة من فرائض الله، كانت خطوتاه إحداهما تحطّ خطيئة والأخرى ترفع درجة.»[18] تعتبر الكلمات الاستعاريّة التالية: (تطهّر، مشى، تحطّ، ترفع) عن الأفعال الدنياويّة الّتي تزيد في كفة الحسنات وبالمقابل تخفّ كفة السيّئات. ففي هذا الحديث تمّ تقديم الطّهارة والاتجاهنحو أداء الفريضة باستعمال الميزان.فهناك أفعال تثقل كفّة الحسنات وتخفّ كفّة السيئات كما في هذا الحديث وهناك الصورة العكسيّة لهذه الأفعال أين تثقل كفّة الشرّ وتخفّ كفة الخير.

ت- **الاستعارات الأنطولوجية:** لا تنقسم أنواع الاستعارات التصوّريّة حسب وظيفتها المعرفيّة إلى البنيويّة والاتجاهيةفقط، بل يوجد نمط ثالث يتمثّل في الاستعارات الأنطلوجيّة. ونقصد بهذا النوع من الاستعارات ذلك النّمط الاستعاريّ الّذي نستعين فيه على الأشياء والمواد والكيانات لفهم تجربتنا الفيزيائيّة. ومن أبرز ما ورد من الاستعارات الأنطلوجيّة في صحيح مسلم على سبيل التمثيل لا الحصر: التشخيص أين يمكننا فهم كيانات غير بشريّة عن طريق خصائص بشريّة.

– الطاعون شخص متسلّط:

قال الرسول صلى الله عليه وسلّم: «**إِنَّ هَذَا الطّاعُونَ رجز سَلّطَ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْأَوْ عَلَى بَنِي إِسْرائِيلَ فَإِذَا كَانَ بَأرض فَلاَ تَخْرُجُوا مِنْهَا فرَارًا مِنْهُ، وإذا كان بأرْضٍ فَلاَ تَدْخُلُوهَا.**»[19]تمثّل كلمة(سلّط، الطاعون) الكلمات المفتاحيّة الاستعاريّة، حيث يشخّص الرسول صلى الله عليه وسلّم في هذا الحديث الطاعون؛ أي يصوّره على هيئة إنسان ينتشر في بلد معيّن فيثير الخوف في نفوس السكان ويهيمون بالفرار من أراضيهم.لهذا نهانا الرسول من دخول البلد الذي فيه الوباء أو الخروج منه فرارا كي لا يصاب بالعدوى وكي لا تنقل إلى الآخرين. الطاعون شخص متسلّط يمثّل استعارة أنطولوجية من فرع التشخيص تبيّن للمسلمين كيفيّة التعامل مع الأوبئة المعدية. وهذه الاستعارة غير محدودة الصلاحيّة. تصلح في كلّ زمان وفي كلّ مكان.

- الصياح من الشيطان:

قال الرسول صلى الله عليه وسلّم: «**صِيَاحُ المَوْلُودِ حِينَ يَقَعُ نَزغَةٌ مِنَ الشَّيْطَانِ**.»[20] ترمز كلمة: (الصياح والنزغة) منالكلمات المفتاحيّة للاستعارة الأنطلوجيّة المتمثّلة في استعارة الكيان والمادّة. أين ينظر في الثقافة العربيّة الإسلاميّة إلى الشخص الّذي يرفع صوته نظرة احتقار. لأنّه يعبّر عن تدنّي مستواه الأخلاقيّ.

أمّا عن الصياح الّذي يتبع المولود مباشرة بعد الولادة فقد فسّره الرسول صلى الله عليه وسلّم بأنّه من الشيطان الرجيم. وتصنّف هذه الاستعارة في تعيين الأسباب لاستعارة الكيان والمادة لأنّها بصدد تبيان سبب صياح المولود عند ولادته.

- الحفظ من العصمة:

تستحضر كلمة: (حفظ ، عصم) في حديث الرّسول صلى الله عليه وسلّم من الكلمات المفتاحيّة الاستعارية المؤسّسة لاستعارة الكيان والمادّة الأنطلوجيّة. أين تكون عمليّة الحفظ بمثابة المفاذ والخلاص الوحيد لتفادي الهلاك والفتن. ففي نصوص نبويّة عديدة تحثّ على الحفظ خاصة حفظ القرآن الكريم لنيل الأجر والثواب. ويقول الرسول صلى الله عليه وسلّم في هذا السّياق: «**مَنْ حَفَظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الكَهْفِ عُصِمَ مِنَ الدَجَّالِ**»[21] يؤكد الرسول في قوله أنّ عمليّة الحفظ لها هدف يتمثّل في عدم الوقوع فريسة المسيح الدجّال. ويندرج هذا النمط الفرعيّ الاستعاريّ في خانة تحديد الأهداف وتحفيز الأنشطة.

- القيام مغفرة:

قال الرّسول صلى الله عليه وسلّم: «**مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ.**»[22]

تعبّر كلمة (قام، غفر، تقدّم) عن الكلمات المفاتيح لاستعارة القيام مغفرة الأنطلوجيّة. إذ تحثّ الشريعة الإسلاميّة على القيام ببعض الأعمال كالصلاة والزكاة والحج وغيرها، كي تعود بالثواب لصاحبها أو لتغفر أثامه وخطاياه. إنّ عمليّة المغفرة المعنويّة تتطلّب جهدا حسيّا يتمثّل في الصيام. تصنّف هذه الاستعارة الأنطلوجيّةقي فرع تحديد الأهداف المتجسّد في مغفرة ما تقدّم من الذّنب وتحفيز الأنشطة. وهاهنا صيام شهر رمضان مع توفّر شرطي الإيمان والاحتساب.

- الحياء وعاء للخير:

قال الرسول محمّد صلى الله عليه وسلّم: «**الحَيَاءُ خَيْرٌ كُلُّهُ**.»[23]تمّ تصوّر الخير استعاريّا على أنّه حياء تمّ تقديمه على شكل وعاء أو حاوية مملوء بالخير ولا مكان فيه لغير الخير. يتضمّن الحديث النبوي عدّة استعارات اشتقت مجالاتها الأصل من المجال التصوّريّ للبناء الّذي يتضمّن بدوره المخطّط الاستعاريّللاحتواء.ولمزيد من التوضيح نمثّل بالشكل الآتي:

- ر.تيوّضّح استعارة الحياء وعاء للخير-

- الإسلام بناء:

قال الرسول صلى الله عليه وسلّم:«**إِنَّ الإسْلاَمَ بُنِيَ عَلَى خَمْسٍ شَهَادَةُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهَ وَإِقَامَةُ الصَّلاَةِ وَإِيتاءُ الزَّكَاةِ وَصِيامُ رَمَضَانَ وَحَجُّ البَيتِ.**»[24]

تعبّر هذه البنية التصوّريّة عن الإسلام يتكوّن من عدّة بنايات. ولكلّ منها خاصية تميّزها عن الأخرى.

ولا يكتمل هذا البناء إلاّ بتظافر هذه الطّبقات البنائيّة تعبّر كلمة: (بني، إيقام، إيتاء، صوم، حج) عن الكلمات المفتاحيّة للاستعارة التصوّريّة الإسلام بناية. ويحصي الرّسول صلّى الله عليه

وسلمّ، في هذا السّياق عن عدد الأعمال التي ينبغي أن يقوم بها المسلم ليكمل دينه. وتصنّف في استعارة الكيان والمادة فرع أن نكمّم.

- الإمامة تخفيف:

يقول الرّسول صلى الله عليه وسلّم : «**إِذَا أَمَّ أحدكم الصلاة فليخفّف، لأنّ فيهم الصَّغِيرَ وَالكَبِيرَ والضَّعيفَ وَالمَريضَ، فَإِذَا صَلَّىَ وَحْدَهُ فَلْيُصَلِّ كَيْفَ يَشَاءُ.**»[25]تعبّر كلمة (أمّ، فليخفّف، صلى، يشاء) عن استعارة الإمامة تخفيف. حيث يأمر النبي في حديثه هذا الإمام بأن لا يطيل خطبته والسّبب راجع إلى أنّ من المصلين من لا يطيق ولا يقدر أن يصبر ويكمل الصلاة لعلّة بيولوجية. وأسقط الرسول هذا التخفيف في حالة صلاته لوحده فهو أدرى بنفسه. وتصنّف هذه الاستعارة الأنطلوجيّة في استعارة الكيان والمادة في تحديد أسباب تخفيف الصلاة.

2.3 وظيفة الاستعارة التصوّرية في النصوص الصحيحيةالمسلمية:

يؤكد " أمبرتوإيكو"على الوظيفة المعرفيّة للاستعارة بالقول بأنّها لا تهمه باعتبارها زخرفا لأنّه لو كانت مجرّد زخرف فقط لكان بالإمكان تفسيرها بعبارات نظرية الدلالة الصريحة. ويلّح بأنّها تهمّه كأداة للمعرفة.[26]تلعب الاستعارة دورا بارزا في حل الإشكال أثناء تحليل هيكل العلاقات بين موضوع المجال المصدر والمجال هدف، أي خلال عملية الإسقاط أو التنّقل من موضوع (هدف) إلى آخر (مصدر).

تهدف الاستعارات التصوّريّة في صحيح مسلم إلى ترسيخ المعنى ومحاولة إيصال تعاليم الشريعة الإسلامية إلى العالمين بطريقة فعّالة ومقنعة. كما تسعى إلى إبراز القاعدة أو الأساس الّذي ارتكزت عليه والمتمثّل في الشريعة الإسلاميّة. كما أنّها تبرز إيديولوجيّة الرسول محمّد صلى الله عليه وسلم الرامية إلى إرساء مبادئ وأفكار الدين الجديد.

ساهمت الاستعارات التصوّريّة في الحديث النبويّ في انتشار وتداول الأمثال والحكم في النصوص النبويّة.

العمل على ترسيخ التعابير النبوية في الذهن.

تدعو الاستعارات التصوّريّة الصحيحيّةالمسلميّة إلى العمل بسنّة رسول الله والابتعاد عن الحرام بشتى أفعاله ومختلف طرقه.

خاتمة:

ومن هنا نتوصّل إلى أنّ معظم التصوّرات المتواجدة على مستوى الأحاديث في صحيح مسلم تفهم جزئيا عن طريق تصوّراتأخرى مرتكزة في تجربتنا الفيزيائيّة والثقافيّة. كوصف حالة المؤمن والكافر في الحياة الدنيا. ومفاهيم الأعمال الصالحة وغير الصالحة. وأركان الإيمان. وتبيان قيمة السّجود لله، وفضل حفظ القرآن الكريم. وأركان الإسلام. وغيرذلك من المفاهيم الّتي سطّرت درب العبد المسلم في حياته اليوميّة. سواء في معاملاته أو في عباداته الّتي تدخل في إطار الحياة الدنيا أوفي الحياة الآخرة.

كما توصّلنا إلى أنّ الاستعارة التصوّريّة عبارة عن مفهوم يقوم على مفاهيم معرفيّة أخرى. تتبلور بموجبها كلّ الأوامر والنواهي والنصائح والنظم النبويّة من خلال صحيح مسلم.كما أنّها الوسيلة الأساسيّة الّتي مكنتنا من ربط أكثر المفاهيم في الأحاديث النبويّة في الصحيح تجريدا بإدراكاتنا الحسيّة البشريّة. وذلك من أجل تحقيق الفهم السّليم والمعنى المقصود.لتكون بذلك الاستعارة التصوّريّة وسيلة معرفيّة لإدراك الواقع وفهمه خاصة وأنّ الأحاديث النبويّة الموجودة في صفحات صحيح مسلم مؤسسة على الاستعارة التصوّريّة في مجملها.

قائمة المصادر والمراجع:

1. أبي الحسين مسلم، صحيح مسلم، بيت الأفكار الدولية، الرياض، 1998.
2. إيكو، أمبرتو: السيميائية وفلسفة اللغة، تر: أحمد الصمعي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 2005.
3. محمد الصالح البوعمراني، الاستعارات التصورية وتحليل الخطاب السياسي، دار كنوز المعرفة، عمان 2015.

4. الحراصي، عبد الله، دراسات في الاستعارة المفهومية، مؤسسة عمان للصحافة، عمان، 2002.
5. الزنّاد، الأزهر، نظريات لسانية عرفانية، دار محمّد علي، ط1، تونس، 2010.
6. لايكوف جورج وجونسون مارك، الاستعارات التي نحيا بها، تر: عبد المجيد جحفة، دار توبقال للنشر، ط1، المغرب، 1996.

المصادر باللغة الأجنبية:

1. FarzadSharifian, Cultural Linguistics, Cultural Conceptualisations and Language John Benjamins publishing company. copyright 2017.
2. ZoltanKovecse: Metaphor , a Practical Introduction, Second Edition, Oxford, University Press, 2010.

الهوامش:

[1]جورج لايكوف ومارك جونسون، الاستعارات الّتي نحيا بها، تر: عبد المجيد جحفة، ط1، دار توبقال، المغرب، 1996، ص192.

[2]عبد الله الحراصي، دراسات في الاستعارات المفهومية، مؤسسة عمّان للصحافة، عمّان 2002، ص51.

[3]المرجع نفسه، ص 21.

[4]محمد الصالح البوعمراني، الاستعارات التصورية وتحليل الخطاب السياسي، ط1، دار كنوز المعرفة، عمان، 2015، ص15

[5]الأزهر الزنّاد، نظريات لسانية عرفانية، ط1، منشورات الإختلاف، الجزائر، 2010، ص142.

[6]جورج لايكوف ومارك جونسون، الاستعارات الّتي نحيا بها، ص216.

[7]FarzadSharifian, Cultural Linguistics, Cultural Conceptualisations and Language John Benjamins publishing company. copyright 2017. P7

[8]ZoltanKovecse: Metaphor , a Practical Introduction, Second Edition, Oxford, University Press, 2010, p34.

[9]صابر الحباشة، تحليل المعنى، ط1، دار المجاهد للنشر والتوزيع، 2011، الأردن، ص 70.

[10]أبي الحسين مسلم، صحيح مسلم، بيت الأفكار الدولية للنشروالتوزيع، الرياض، 1998، ص1187.

[11]ينظر: جورج لايكوف ومارك جونسون، الاستعارات التي نحيا بها، ص، ص،95، 96.

[12]المرجع نفسه، ص37

[13]أبي الحسين مسلم، صحيح مسلم، ص45.

[14]المصدر نفسه، ص 39.

[15]المصدر نفسه، ص48.

[16]نفسه، ص 201

[17]نفسه، ص263.

[18]نفسه، ص911.

[19]نفسه، ص963.

[20]نفسه، ص 316.

[21]نفسه، ص 299.

[22]نفسه، ص48.

[23]نفسه، ص40.

[24]نفسه، 196.

[25]ينظر: أمبرتو إيكو، السيميائية وفلسفة اللغة، تر: أحمد الصمعي، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2005، ص 237.